

الأصول الدينية للتعايش الإنساني في الأد ن السماوية

The Religious Origins of human coexistence in the Semitic Religions

Dr.Judi Faris Al Bataineh

Professor Department of Arabic language and Literature

Jerash University, Jordan

j.f.bataineh@hotmail.com

ABSTRACT

The subject of human co-existence for the purpose of peace and non-violent communication is extremely important, even more today than in the past. The contention of this paper is that Semitic religions (Islam, Christianity and Judaism) have golden principles for coexistence and inter-faith harmony. However, this doctrine may be misunderstood in some societies due to the poor knowledge of religious teachings or wrong education. In this research, a descriptive and analytical method is used. This paper strongly recommends the need to have a true interpretation of religious teachings as well as a true approach to religious diversity to provide the culture of peace.

Key words: human Co-existence, Semitic Religions, Interpretation, Religious diversity.

قبل الشروع لدراسة المفصلة لهذه الدراسة لابد لنا من تحديد مدلولات العنوان ليتسنى لنا الانطلاق من خلالها في بيان تفصيلاته وجزئياته، استيفاءً لمضامينه واهدافه وليُسَهِّل هذا التحديد رسم المنطلقات العامة للبحث.

المطلب الاول: بيان مدلول (الاصول الدينية للتعايش الانساني في الادن السماوية).
اولاً: الاصول الدينية مفهومها وتحديداتها.

1- مفردة الاصول: هي جمع أصل ومعناها اللغوي ((ما يرتكز عليه الشيء ويبنى))¹ وقيل هي (أساس الشيء)². وذكر الفقهاء والاصوليون لها عدة معان منها ((القاعدة: أي الركيزة التي يرتكز عليها الشيء كقول المصطفى صلى عليه وسلم (بني الإسلام على خمسة أصول)³ أي على خمسة قواعد⁴، ومن معانيها ايضاً (الدليل أي الكاشف عن الشيء والمرشد له).

2- مفهوم الدين: تعني ((جنس من الانقياد أو التسليم الذل فالدين: الطاعة يقال دان له يدين ديناً اذا أصحَبَ وانقاد وطاع وقومٌ دين أي مطيعون، قال الشاعر: وكان الناس الا نحنُ ديناً))⁵، وعرف ايضاً نه ((الاعتقاد بوجود ذات او ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تصرف وتدير للشؤون التي تعني الانسان، اعتقاداً من شأنه ان يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد))⁶.

والاصل الديني هو نص او مجموعة نصوص مدون في كتاب مقدس يوليه مجموعة او

أمة من الناس قدسية واحتراماً، وهذا النص (الاصل) نوعان:

الاول: نص مكتوب او مسموع من صنع الانسان وهو عبارة عن خلاصة التفكير البشري.

الثاني: يكون وحيًا من للانبيا والرسل كالكتب السماوية المقدسة، فهو مصمم فوق قدرة الانسان⁷.

ومصطلح النص يقسم من ايضاً على نص محدود في معانيه واخر لا محدود في معانيه فالاول ((هو الذي لا تكتنز الفاظه بمعان عميقة فيسهل فهمه والثاني هو الذي تتكشف فيه المعاني والمفاهيم والافكار في اثناء الفاظه وهذا النوع يتفاوت في الدرجة فمنه ما هو محدود ومنه ما هو لا نهائي في تعدد معانيه، واذا كان النص الفلسفي من الجزء المتسع في معانيه فإنه لا نهائي المعاني كما هو الواقع والاعتقاد معاً)⁸ وبناءً على ذلك فإن المتلقي يتعامل مع النص المحدود بمحدود فهمه المباشر لمفردات النص، اما بيانه للنص غير المحدود فيشكل (تحد لحركة ذهنية لذلك فهو يتعامل معه مباشرة وتعاملاً ما وراثياً) ما وراء التبادر)... فيبقى التخاطب فيه مظنة اجتهادية فيداخله التفسير ولا يكتفي به، ويعالجه التأويل وبحسب رتبة عمق النص⁹ وتفسير النص الديني عبارة عن ((الكشف عن مراد النص بقدر الطاقة البشرية))¹⁰ وهي بذلك محاولة عقلية لا يوضح الافكار الواردة في النص قدر المستطاع والسعي الى الكشف عن المعاني المباشرة¹¹. ويختلف مفهوم التفسير عن التأويل في كونه قريناً للنص وانه يمثل المرحلة الأولى لفهمه وتحليله¹² بينما لا يقترن التأويل مع كل نص بل يتعامل مع النصوص المشكلة ذات المعاني المكثفة المتعددة الأفكار.

نياً: التعايش الإنساني محدداته وتعريفه ونظرته

تحدد منظومة الأصول الدينية من خلال بيان العقائد المؤسسة لتلك الاصول وتشمل (الإلهية والنبوة والمعاد) ودورها في التأثير على الاجتماع البشري بإلقاء الضوء على الرؤى الكونية (العقيدة) من خلال قضية الخلق والتسخير والمآل الكوني يفتح النوافذ لاكتشاف اثر ذلك في صياغة الوعي الاجتماعي هيك عن دور القيم السلوكية المؤثرة في

بناء الشخصية القومية من عدل ومساواة وتعاون وتسامح وعفو وصلاح التي جاءت بها النصوص الدينية وبتتها عبر قيمها الإنسانية النظرية والعملية.

ان حركة الإنسان عبر القوانين الوضعية ساعدت على ظهور دساتير تشريعية ساهمت في إرساء الحقوق والواجبات الضامنة لتحقيق السلم الاجتماعي من خلال تشريع الحقوق الشخصية للفرد والاسرة والمجتمع، وحقوق الدولة وعلاقتها بغيرها من الدول وصولاً الى تحقيق الاجتماع الانساني ونبد العنف والكرهية بين الشعوب، لكن مثل هذا التأثير لم يقتصر على الموارد الوضعية بل كان للعقائد الدينية ورسالات السماوية (النص - النقل) اثره على دساتير العديد من الدول ولاسيما الاسلامية منها.

1- تعريف التعايش: لفظ (التعايش) مأخوذة من (عيش) بمعنى الحياة والمعيشة، حتى عدّ ابن خلدون الحضارة هي طريقة عيش الجامعة¹³ ونقول عاش يعيش عيشاً ومعاشاً وكلُّ شيء يُعاش به او فيه فهو معاش¹⁴، والتعايش مفهوم انثروبولوجي يحمل مضامين اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية تهدف جميعها إلى إسعاد المجتمع الإنساني. ويؤمن ابن خلدون ن (الاجتماع الإنساني ضرورة لازمة وشرط حتمي للمدنية والحضارة فهو ضروري لإشباع حاجات الإنسان الأساسية، وبدونه يصبح وجودهم قصاً وتكون إرادة الهادفة إلى أسكناهم الأرض غير مة)¹⁵.

ويؤكد علم الاجتماع السياسي وفقهاء القانون الجنائي ضرورة السلم الاجتماعي من خلال احترام القوانين وسلامة النظام العام كشرطين أساسيين لإقامة الأسس القوية للامن والاستقرار الاجتماعيين¹⁶. وتؤكد المسيرة الحضارية للتاريخ البشري على تنامي فكرة التعايش وتفوقها على فكرة الصراع والافتتال، من خلال التعامل الايجابي مع الاخر، وتفهم ارائه وافكاره عبر دراسة سلوكه النفسي والاجتماعي بعيداً عن الانغلاق العنصري، الذي لا

يحترم السلم الاجتماعي. رغم ان التباين التكويني بين الامم، والتنوع الانساني يفرض على المجتمع حتمية اجتماعية محددة تعبر بمجملها عن جمالية الحياة، فالتنوع المتناسق سمته الجمالية التي تحكنا بقانونها، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ)¹⁷ يقول الفخر الرازي في هذا التباين والاختلاف في الخلق ان فيه (حكمة لغة وذلك لان الانسان يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه، وليقبل على التصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه، وذلك قد يكون لبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون لسمع فخلق اختلاف الاصوات)¹⁸ ، ويرى ابن كثير في تفسيره لهذه الاية من خلال التراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على عظمتة وكمال قدرته في الخلق (فتمام رحمته ببني آدم ان جعل لهم ازواجاً من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة)¹⁹.

- 2- محددات التعايش: نقصد لمحددات كل العوامل المساعدة على قيام تعايش آمن بين الناس فقيام الانسجام والتوافق بين مكوت المجتمع، هي التي ترسي دعائم السلام الاجتماعي، وحسن الحوار يثبت البنى الاجتماعية الرصينة للدولة، واقتسام الثروات بين الجميع وتوزيع الخيرات لعدل والاحسان يشد من اللحمة الاجتماعية ويساعد على اشاعة روح المحبة والتعاون ويفضي الى العيش المشترك بعيداً عن التصادم والكراهية.
- 3- النظرات الاجتماعية الساندة للسلم الاجتماعي: تعددت النظرات التي حثت على السلم الاجتماعي الوطني والدولي وصولاً الى التعايش الانساني، ولاسيما النظرات السوسولوجية والنظرات النفسية.

أولاً - النظر ت السوسولوجية*

أ- نظرية التبادل الاجتماعي Social Exchang Theory

اتخذت هذه النظرية من حركة التعامل والتفاعل اليومي بين الافراد مادة تحليلية، يمكنها تفسير العمليات الاجتماعية المتعددة والمعقدة²⁰ فالحياة الاجتماعية تتشكل من مجموعة من العلاقات الاجتماعية يؤدي فيها الفرد دوراً معتمداً على المكافآت والتكاليف الضابطة لتلك العلاقات والعاملة على ديمومتها وتطويرها²¹ وتربط هذه النظرية السلوك الاجتماعي بمقدار ما يحققه الفرد من اللذة وتجنب الألم²²، أي ما يحصل عليه من منافع مشروعة، وان يبعد عنه كل ما يتسبب لاذى له وللآخرين، في اشارة الى احقاق الحقوق، ونشر العدالة بين الناس كافة. وكما ركز أصحاب هذه النظرية على طبيعة المشاعر المتبادلة بين الافراد فمن خلال التكافؤ في طبيعة السلوك المتبادل وعدم الاعتداء على حقوق الاخرين²³ فإن ذلك يُساعد على انماء السلم الاجتماعي وتعزيزه.

ب- نظرية التضامن الاجتماعي The theory of Social comeromise

يذهب أصحاب هذه النظرية الى كيد دور ((القانون الموضوعي المعبر عن ضرورات التضامن الاجتماعي، أي شعور الأفراد الذين تتألف منهم مختلف الجماعات لتضامن الذي يربط بين أفراد كل جماعة وكذلك أفراد الجماعات المختلفة)).

ويرى عالم الاجتماع جورج سل (ان القانون ليس الا حدً اجتماعياً قائماً على ضرورات الحياة في المجتمع أي ان تلك القيود التي تفرض نفسها على الأفراد بحكم قيام علاقات بينهم لعيشهم في مجتمع واحد هي التي تولد التضامن بين أفراد. ان هذه القيود

التي تكون الحدث الاجتماعي تخلق شعوراً عاماً يجعل منها الأساس الذي يقوم عليه تنظيم المجتمع²⁴.

ح- نظرية الضمان والتكافل الاجتماعي الإسلامي: أشاع الإسلام في نفوس معتنقيه ضمان العيش الكريم وحماية الكرامة الإنسانية التي احتطتها يد السماء والتي تكفل لهم السلم الاجتماعي قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)²⁵ والقرآن الكريم حث على التداول الاجتماعي للأموال ونهى عن احتكارها وكنزها قال تعالى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)²⁶ (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ لِدِينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)²⁷ وقال تعالى (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ)²⁸ قال الطبرسي في تفسيره (هذا وعيد من سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء لنميمة مفرق بين الاحبة)²⁹ ، قال الدكتور الاعرجي (ان من حق المخلوق على الخالق اشباعه وكسوته واي نقض لهذا القانون الكوني انما هو نقض لصميم مفهوم العبودية بين المربوب والرب)³⁰.

والنظرية الاجتماعية القرآنية تتعدى في نظرتها الشمولية، الى التكافل العام بين جميع افراد المجتمع الانساني بغض النظر عن اجناسهم واعراقهم واد نهم القائمة على مبدأين اثنين هما (مبدأ كفالة الافراد بعضهم البعض ومبدأ الاخوة الذي يعده الاسلام حجر الاساس في بناء العلاقات الاجتماعية الوظيفية)³¹ وبموجب هذين المبدأين ينعم المجتمع بسلام وتعايش امين ومن خلال دراسة وسائل (الضبط الاجتماعي)³² التي تحقق للمجتمعات توازنها يؤكد علماء الاجتماع الديني نمطين:- منها ما هو تلقائي وما هو قهري³³، او ما هو ذو طابع تعليمي وما هو ذو طابع جزائي. فالتلقائي يمثل نمطاً داخلياً يتم من خلاله تشرب الافراد

والجماعات للمبادئ الاجتماعية عبر تنشئتهم الاجتماعية في العائلة والمدرسة وسائر المؤسسات التعليمية، اما الضبط الخارجي فمظهره (الجزائي) تمثله القوانين بنمطيتها الثواب والعقاب³⁴، ولاسيما العقاب الذي ((يعد ذات فعالية كبيرة في عملية الضبط الاجتماعي سواء أكان ذلك في نطاق الوسائل النفسية كالتحقير والهجران والفصل من العضوية مثلاً او في نطاق الوسائل المادية كالضرب والسجن))³⁵.

نياً- النظرت النفسية

أ- نظرية التحليل النفسي: ووجهت هذه النظرية اهتمامها الى الجوانب النفسية المؤثرة في صقل السلوكية السوية، ذات التوجهات الإنسانية المفعمة بمشاعر الخير والصلاح، بعيداً عن غريزة العدوان وفطريته التي يرى فيها فرويد عالم النفس المشهور أنها تسعى الى البقاء والاتحاد³⁶، فالغريزة الجنسية مسؤولة عن كل رط ايجابي مع الآخرين ولها دور رز في التقارب بين الناس لتكوين جماعات كبيرة مترابطة على العكس من الغريزة الحيوانية التي تحت على عدم الاندماج وتهدف إلى حالة الجمود وانعدام الحياة فينطلق الصراع بين الأفراد ويحل الأمن في المجتمع فيسوده الاضطراب³⁷.

وطرحت النظرية أضعاف السلوك التدميري عند الإنسان، وخلق البديل له عن طريق زرع سلوك مضاد للعنف يعمل وفق معطيات السلام والمحبة للآخرين، وحسن الظن بهم ومعاملتهم لحسن³⁸.

ب- نظرية التعلم الاجتماعي: تعتبر البيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان مصدراً مهماً لكسب أنماط سلوكية تظهر أرها على سلوكيات الأفراد فتعمل على محاكاتها بصورة أفعال ايجابية او سلبية يتأثر بها المجتمع سلماً او عنفاً.

فنظرت التعلم تقوم بتعديل السلوك الإنساني وتهذبه تبعاً لمذاهبها الاجتماعية³⁹، وتطرح هذه النظرية مجموعة مبادئ تساعد على غرس التعليم الاجتماعي الذي يساعد على إشاعة الاعتقاد بآثار العنف لتزدهم لخلق مجتمع آمن، منها وجود القدوة أو النموذج السلوكي المثالي المؤثر في وسطه بجاذبيته مما يساهم في توحد الأفكار والأفعال وتوجيهها نحو السلم الاجتماعي⁴⁰.

لثأ: الاد ن السماوية مفهومها ومعيار التفرقة والاعتراف المتبادل بينها تتبع علماء الاد ن دراسة معتقدات الشعوب المختلفة، فوجدوا انها ليست من صنف واحد، فهي تختلف من حيث المصدر وطبيعة الاعتقاد، وان كانت تشترك في الاعتقاد بوجود قوة خفية عظيمة تسير الكون تسمى الإله (). فمن حية مصدر الاد ن قسموها الى اد ن سماوية واد ن (أرضية)، ومن حيث الاعتقاد في الخالق سموها اد ن توحيدية سماوية (ذات اصل الهي) وأد ن تعددية أرضية مختلفة.

وأرجع علم الاد ن سبب نشأة هذه الاد ن الى (فطرة التدين)⁴¹ المغروسة في النفس الانسانية التي تميل على بفطرتها الى معرفة خالقها العظيم، ودليلها قوله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الِّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)⁴²، الواضح من السياق التاريخي للفكر الديني ان الحس او الادراك للكينونية الالهية كان يتسم ببدءا لبساطة والعفوية، وثمة من يشير الى ان النظرات المتصلة بتاريخ الاد ن انما تقوم على مجرد افتراضات أكثر من قيامها على اعلا ت واضحة بين السبب والمسبب⁴³، ومثال ذلك ان الصينيين كانوا – كما يرد في موسوعة الاد ن في العالم يجهلون الحقائق المادية لخوارق الطبيعة، فكانوا يحسون ان الآفاً من الارواح الطبيعية والخبثة ترفرف من حولهم في الهواء المحيط بهم، وفي الارض تحت أقدامهم، وكانوا يحرصون

على ان يردوا عداوه هذه القوى الخفية، وان يستعينوا عليها لأدعية والرقى السحرية⁴⁴. وهذا ما يرحح الاعتقاد أن أقدم صورة للدين كما ذكر هي ((الفيتشية)) ((الايمن له واحد مع عدم انتفاء الايمان بغيره))⁴⁵ وان تعدد الآلهة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعبادة الطبيعة بمظاهرها، وان الهندوكية والأفلاطونية الجديدة انما هي صورة متطورة لتعدد الآلهة، اذ تكاد تنتهي كل منها الى الوحدة، ضفاء صفات الإله الاممي الأوحد على الآلهة المتعددة، فيما يعتبر التوحد اسمى المراحل عند القائلين لتحليل التاريخي للدين⁴⁶.

وقد رأينا ان انتظام الفكر الديني في جملة من التصورات المعتقدية الترافرت وجود الإله او الآلهة أشكال ومظاهر متعددة وضمن طقوس ومراسيم تعبدية، كان لكل شعب من الشعوب حصة منها على تفاوت إدراكها وما رسخ عندها وتوارثته من الأفكار المفاهيم الغيبية. وقد كان الناتج الطبيعي لامتداد التفكير لدى الانسان وتطوره ان جملة التصورات والرؤى عن الآلهة قد آلت في نهاية المطاف الى توحيد الموقف تجاه الإله الاعظم لتبرز فكرة التوحيد والتي تعد الحلقة الأخص والأوثق في محيط الادن السماوية بشكل خاص ومنطلقها اعتبار كأصل للخلق والوجود، لو هناك اسباب اخرى لنشأة الادن مثل تخوف الانسان من بعض المخلوقات مثل الحية والافعى او الاعتقاد بوجود قوى متلبسة لاشياء المادية القادرة على التحكم لانسان او العجز عن تفسير بعض الظواهر الكونية⁴⁷، وقد بيّن العلامة (دوركهايم) ان الدين هو (التعبير عن المجتمع والعواطف الاجتماعية) وهذا التعريف فيه اسقاط للقيم الرسالية مجملاً العلاقات الاجتماعية اعتبارها تطبيقات حيّة للمفاهيم الدينية.

1- تعريف الدين السماوي:

الدين لغة: الطاعة⁴⁸ وجمعه د ت وهي اسم لجميع ما يتعبد به⁴⁹، واصطلاحاً عرف الدين السماوي نه (وضع الهي يدعو اصحاب العقول ختيارهم المحمود الى الخير لذات)⁵⁰. وقد سبق تعريفه في المطلب الأول.

ويربط علم الاجتماع الديني معتقد الدين في بعض صوره لغريزة التي تدفع الناس الى السعادة⁵¹ ومن خلال التأهيل الديني للايمان بروح العقيدة الرسالية التي تغرس في النفوس مصاديق السلام الاجتماعي بين الناس الذين يعيشون في مجتمع واحد فيحقق لهم ((واجباً شرعياً وضرورة اجتماعية ومهمة انسانية وشرط لازم من شروط التعايش والسلام الاجتماعي بهذا المعنى يعني التسالم))⁵².

2- اصول الاعتراف لاد ن السماوية:-

الاد ن السماوية مصدرها واحد هو سبحانه وشريعته تدعو الى ثوابت مشتركة ابرزها التوحيد والايمان لكتب السماوية المقدسة (التوراة والانجيل والقرآن) و ملائكة واليوم الاخر، وتدعو الى اقامة الصلاة والصيام وايتاء الزكاة والامر المعروف والنهي عن المنكر، ويعترف كل دين لاحق لاد ن السماوية، ولا تعترف الاد ن السابقة منها للاحق عليها اعترافاً عقائدياً، انما تتعامل مع وجوده على الارض، من خلال اتباعه وكيا هم، تعاملات واقعية لذلك وطبقاً لما تقدم فان الاسلام يعترف لاد ن السابقة اعترافاً عقائدياً وفعلياً فعقائدياً فقد نصّ عليه القرآن الكريم بقوله تعالى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)⁵³ وقال تعالى (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)⁵⁴

ويمكن ايضاح اصول الاعتراف من خلال التصنيف الآتي:

- 1- اعتراف واقعي: ونقصد به وجود هذه الادن السماوية حقيقة واقعة، ومسلم بها على الارض من خلال الاتباع والدول والثقافات الناتجة عنه، وهنا لا بد ان تتعايش مع اتباعها على أرض المعمورة وتتبادل الاعترافات بنسب متفاوتة.
- 2- اعتراف عقائدي: ونقصد به الاعتراف برنية التشريعات الدينية لهذا الدين او ذاك سواء كانت متفقة مع ما نؤمن به او مختلفة، وهذا الاعتراف يساعد على ديمومة التعايش بين اتباع الدين السماوية ومن مصاديق ذلك:-
 - اخذ الجزية من اليهودي او النصراني او المجوسي لضمان حمايتهم ورعايتهم، وتؤخذ من المجوسي ايضاً فعن مالك عن ابن شهاب قال: بلغني ان رسول صلى عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر، وان عمر بن الخطاب اخذها من مجوس فارس، واما عثمان اخذها من البربر⁵⁵.
 - قال العلامة الطباطبائي (واما الجزية فهي عطية مالية مأخوذة منهم مصروفة في حفظ ذمتهم وحسن ادارتهم)⁵⁶، والجزية لا تؤخذ من جميع اصناف اهل الذمة، فهي لا تؤخذ من النساء والصبيان⁵⁷ او الاعمى والراهب والشيخ الكبير ولا عبد لمسلم ولا فقير يعجز عنها⁵⁸.
 - وقد ورد عن الامام الصادق قوله (والشيخ الفاني والمرأة والولدان في ارض الحرب من اجل ذلك رفعت عنهم الجزية)⁵⁹ ولما كان النهي في دار الحرب كان من باب اولي النهي عن اخذ الجزية منهم في دار الاسلام⁶⁰.
 - والجزية في بعض معانيها دعوة للمخاطبة الداعية لمعرفة محاسن المسلمين فهي ليست مأخوذة في مقابل الكفر ولا التقرير عليه⁶¹، فالمسلمون يعترفون بدن اهل الذمة، وهم مواطنون يتعايشون في وطن واحد. ثم اهم اذا شاركوا المسلمين في الدفاع عن ارضهم تسقط عنهم الجزية⁶².

اذن فالجزية ليست ضريبة وانما عدت وظيفة يؤدي استحقاقها الذمي لبلده لاجل حمايته ورعايته والحفاظ على ماله واهله من النساء والصبية وكبار السن، وهم يشاركون المسلمين في هذا الواجب المالي، فالمسلم يدفع الزكاة والخمس والخراج للحاكم الاسلامي طوعاً امتثالاً لأحكام شريعته الاسلامية.

مشاركة الكتائبين وأكل ذئحهم وفي ذلك ثقفة للتقارب والتوادد والمحبة عبد بن عباس انه سُئل عن ذئح نصارى العرب فقال لا س بها⁶³. وروى عن سعيد بن المسيب انه سئل عن رجل مريض امر مجوسياً ان يذبح ويسمي، ففعل ذلك فقال سعيد بن المسيب (ت 94هـ) لا س بذلك⁶⁴ والاحناف لا يعدون التسمية شرطاً في حلية الذئح سواء اكان الذابح مسلماً ام كتابياً مستدلين بحديث يرويه ابو هريرة (ت 57هـ) عن رسول صلى عليه وسلم انه قال (المسلم يذبح على اسم سمي او لم يسم)⁶⁵ وفي حديث اخر يرويه ابن عباس عن الحبيب المصطفى انه قال (المسلم يكفيه اسمه...) ⁶⁶.

وعند الشافعية تحل ذئح اليهودي والنصراني ولا تحل ذبيحة المجوسي⁶⁷.

ح- صحة الوقف على اهل الذمة كالمسيحيين وجواز التصدق عليهم اذ وقفت صفة بنت حبي زوج النبي صلى عليه وسلم جزءاً من مالها لاجلها اليهودي⁶⁸.

ء- ومن ثقافة التقارب بين المسلمين وغيرهم وصية المسلم للذمي، فالاتفاق بين الفقهاء على جواز الوصية⁶⁹ ودليلهم في ذلك قوله تعالى (لَا يَنْهَاكُمْ اَسُّ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا اِلَيْهِمْ اِنَّ اَسَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). واجاز الامام الرضا وصية احد المسلمين لبعض النصراني⁷⁰.

3- الاعتراف المعرفي: تعد الحضارة العربية مزيجاً متنوعاً من ثقافات عدة شملت بين جنباتها ما قدّمه اصحاب الادب من علوم ومعارف مختلفة وتعد البلاد العربية

مهبط الاد ن الثلاثة (اليهودية والمسيحية والاسلام) فتعايش اهلها قرواً طويلاً انتج خلالها ثقافات ومعارف تمازجت مع بعضها البعض. وكان (لقدموم العرب المسلمين الى بلاد الرافدين اكبر الاثر في تغيير الحياة الفكرية للمسيحيين العرب، اذ حدث توسع وتمازج ثقافي وحركة علمية من تزواج الافكار)⁷¹.

ومما يدل على الحرية الدينية التي كان يتمتع بها الكتبايون كثرة الاديرة والكنائس في بلاد العرب⁷² وانغماس العلماء المسيحيين في رفا الحضارة والحركة العلمية العربية وهناك قائمة طويلة من مشاهير العلماء المسيحيين الذين اسهموا في بناء الحضارة العربية امثال (سعيد ابن البطريق (ت 600هـ) صاحب كتاب التاريخ واسحق بن حنين(ت 260هـ) وسعيد التستري وابو مليح المماتي)⁷³ وقد اعطى هذا الاخير صورة جميلة للتضامن الاخوي والتعايش الانساني بين اهل الاد ن عندما (وقع غلاء عظيم في مصر في احدى مراحل التاريخ فهب المماتي الى اغداق مالٍ كثير على الفقراء من المسلمين وغيرهم فانقذ نفوساً كثيرة من الهلاك)⁷⁴.

يقول الجاحظ (ت 255هـ) في احوال النصارى انذاك (انهم فسوا المسلمين في لباسهم وركوبهم وألقابهم وتسموا لحسن والحسين والعباس والفضل، وعلي وتكتنوا بذلك أجمع... فرغب اليهم المسلمون...)⁷⁵.

الهوامش

- ¹ الحكيم. محمد تقي، الاصول العامة للفقهاء المقارن، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط4، بيروت، 1422 – 2001، ص35.
- ² ابن فارس، ابي الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، 109/1.
- ³ اورد السيد محمد تقي الحكيم هذا الحديث ولم يعثر عليه بهذا اللفظ وكذلك لم اجده في صحاح اهل السنة اذ ورد بلفظ (بني الاسلام على خمس...) ظ: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان ب دعاءكم ايمانكم (8)، ص27، دار احياء التراث العربي، ط1 – 1422 – 2001، بيروت، (وبنفس اللفظ في صحيح مسلم، كتاب الايمان، ب بيان أركان الاسلام ودعائه العظام الاحاديث (19)، 20، 21، 22)، ص69. دار احياء التراث العربي، ط1، 1420-2000، بيروت، وكذلك في سنن الترمذي (الجامع الصحيح ب 3 بني الاسلام على خمس حديث رقم (2609) ، ص704، احياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1421 – 2000.
- ⁴ الحكيم، مصدر سابق، ص35.
- ⁵ ابن فارس، مصدر سابق، 319/2.
- ⁶ دراز، د. محمد عبد ، الدين بحوث مهمة لدراسة ريخ الاد ن، مطبعة السعادة، القاهرة، ص144
- نقلاً عن Larousse du – Xxeme, Siecle article religon
- ⁷ زاهد، د. عبدالامير كاظم، التأويل وتفسير النص مقارنة في الاشكالية، محاضرة مطبوعة القيت في بيت الحكمة قسم الدراسات الفلسفية بتاريخ 2001/8/30، ص4.
- ⁸ المصدر السابق: 4.
- ⁹ المصدر السابق: 4.
- ¹⁰ زاهد، التأويل وتفسير النص مقارنة في الاشكالية، ص4.
- ¹¹ زاهد، مصدر سابق، 4.
- ¹² التأويل هو (المتمكن من حبط الظواهر الفكرية في النص وأدواته الاستنباط من خلال محاولة عقلية ملية في اداء لغوي للمعاني الكامنة لنص المصرح به والملمح لاستنطاق المعاني المتوارية فيه) زاهد، مصدر سابق، ص5.

- ¹³ ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ص19.
- ¹⁴ ابن فارس، مصدر سابق: 194/4.
- ¹⁵ رامزور، أرنست، أ. تركية الفتاة وثورة، 1908، ترجمة صالح احمد العلي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص16.
- ¹⁶ مقال بدون عنوان يتحدث عن نشاطات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة منشور على موقعها الالكتروني www.isesco.org p1 التقييم من عمل الباحث.
- ¹⁷ سورة الروم: 22.
- ¹⁸ الرازي، الامام محمد الرازي فخرالدين بن ضياء الدين عمر، تفسير مفاتيح الغيب المسمى لتفسير الكبير، دار الفكر، ط3، بيروت، 1305 - 1985، 112/25-113.
- ¹⁹ ابن كثير، الامام عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، تفسير ابن كثير، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط1، بيروت، (ب. ت): 398/3.
- * السوسيولوجيا: علم يدرس الظواهر والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية ويهدف الى كشف القوانين التي تحكمها وصياغة تفسيرات لها استناداً على علاقاتها بوقائع اجتماعية اخرى. موسوعة السياسة، مجموعة محررين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 160/4.
- ²⁰ زاتيلن. ارفنج، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عودة واخرون، دار ذات السلاسل، الكويت، 1989، ص142.
- ²¹ عمر، معن خليل، نظرت معاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، 1997، ص175.
- ²² م. ن.
- ²³ م. ن.
- ²⁴ العطية، م. ن.
- ²⁵ سورة الاسراء/70.
- ²⁶ التوبة : 34
- ²⁷ سورة الماعون/1-3.
- ²⁸ سورة الهمزة / 1-4.
- ²⁹ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت، 1426هـ، 2005، 687/10.

- 30 الاعرجي، د. زهير، النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، مطبعة أمير، ط1، قم، 1994/1415، ص35.
- 31 الاعرجي، م. ن، ص36.
- 32 البستاني، د. محمود، علم الاجتماع في ضوء المنهج الاسلامي، نشر محدث، قم 1382، ص79.
- 33 البستاني، المصدر السابق، ص79.
- 34 البستاني، د. محمود، المصدر السابق، ص79-80.
- 35 المصدر السابق، 80.
- 36 حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سايكولوجيا الإنسان المقهور معهد الإنماء العربي، ط4، 1986، ص194.
- 37 حجازي، المصدر السابق.
- 38 ينظر، بلاس. توماس، الانسان والعنف، ترجمة عبدالهادي عبدالرحمن، دار الطليعة، بيروت، ص68.
- 39 ابراهيم، عبدالستار، اسس علم النفس، دار المريخ، الرض، 1987، ص265.
- 40 م. ن.
- 41 وورقية، د. عبدالرزاق، (مفهوم الدين وفطريته وانواعه) المنشور يوم السبت الموافق كانون الاول 2007/15 على الموقع الالكتروني www.maktooblog.com p4
- 42 سورة الروم/30.
- 43 الموسوعة العربية الموسعة، دار النهضة، لبنان، ج1، ص838.
- 44 موسوعة الاد ن في العالم، دار كريس انتر شو ل، 2000-2001، ج4، ص34.
- 45 الموسوعة العربية، ج1، ص839.
- 46 م. ن.
- 47 المصدر السابق P5.
- 48 الزبيدي، ج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع: 216/18، والمنجد في اللغة: 231، ط26.
- 49 المنجد في اللغة، ط26، ص231.
- 50 الزبيدي، ج العروس، 217/18 والتعريف لابن الكمال.
- 51 ستيد، مبادئ علم الاجتماع الديني، ص23.

- ⁵² مقال (استتاب الامن والسلام في المجتمعات الانسانية على اساس الايمان ومقاوم الاخلاق النابعة من الادن) بدون ذكر اسم الكاتب ولكن النص للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري والمدير العام للمنظمة الاسلامية للتزية والعلوم والثقافة (الاييسيكو) المنشورة بتاريخ 2008/3/16، www.isesco.org.pl.
- ⁵³ سورة الشورى: 13.
- ⁵⁴ سورة آل عمران: 84.
- ⁵⁵ انس، مالك بن، الموطأ، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار العرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1417هـ - 1997م، 374/1.
- ⁵⁶ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 240/90، ط1 الاعلمي للمطبوعات.
- ⁵⁷ ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، نشر الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مطبعة سرور، ط1، 1380هـ، 410/2.
- ⁵⁸ الحراني، مجدالدين ابي البركات عبدالسلام بن عبد بن الخضر بن تيمية الحراني (ت656هـ)، المحرر في الفقه تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، احمد محروس جعفر صالح، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1419هـ-1999، 371/2.
- ⁵⁹ ابن رشد، المصدر السابق، 410/2 الهامش(*)).
- ⁶⁰ الكلانتي، علي اكبر، الجزية واحكامها في الفقه الاسلامي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط1، قم، 1416هـ، ص147.
- ⁶¹ النووي، ابي زكر محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين، تحقيق عادل احمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1427-2006، 487/7 هامش رقم (1).
- ⁶² الزحيلي، وهبه، ا ر الحرب في الفقه الاسلامي: 698.
- ⁶³ انس، الموطأ، 631/1. وانظر تفصيلاً اوسع في السيد سابق في فقه السنة 251/3.
- ⁶⁴ الكاساني، علاء الدين ابي بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق علي محمد معروف وعادل احمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424، 2003، 225/6.
- ⁶⁵ السرخي، ابي بكر محمد بن احمد بن ابي سهل (ت490هـ)، كتاب المبسوط، تحقيق ابي عبد محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1421-2001، 261/11.
- ⁶⁶ السرخسي، كتاب المبسوط، 261/11 هامش (4).

- ⁶⁷ البغوي، ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت 516هـ) التهذيب في فقه الامام الشافعي، تحقيق عادل احمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418 - 1997، 3/8.
- ⁶⁸ بدران، د. بدران ابو العينين، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص186.
- ⁶⁹ بدران، مصدر سابق/178
- ⁷⁰ ظ: البغوي، التهذيب، 72/5، ظ: الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ب جواز الوصية من مسلم والذمي بمال: 343/19، ظ: النووي روضة الطالبين: 102/5.
- ⁷¹ قاشا، سهيل، لمحات من ربح نصارى العراق، مطبعة شفيق، بغداد، ص76.
- ⁷² المصدر السابق، ص77.
- ⁷³ المصدر السابق، ص78.
- ⁷⁴ م. ن ، ص85.
- ⁷⁵ م. ن.، ص63.